

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[116] إلى الأ سبحانه: (الأ يتوفى الأنفس حين موتها)، (1) وفي بعضها إلى مجموعة من الملائكة: (الذين تتوفى أهم الملائكة طالمي أنفسهم...)، (2) وفي الآيات مورد البحث نسب قبض الأرواح إلى ملك الموت، إلا أن الله لا منافاة بين هذه التعبيرات مطلقاً، فإن ملك الموت معنى الجنس، وهو يطلق على كل الملائكة، أو هو إشارة إلى كبير الملائكة وزعيمها، ولمّا كان الجميع يقبضون الأرواح بأمر الأ سبحانه، فقد نسب الفعل إلى الأ عز وجل. ثم تجسّد وضع هؤلاء المجرمين الكافرين ومنكري المعاد الذين يندمون في القيامة أشدّ الندم على ما كان منهم لدى مشاهدة مشاهدها ومواقفها المختلفة، فتقول: (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم ربّنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون) (3). ستعجب حقاً! أهؤلاء النادمون الناكسوا الرؤوس هم أولئك المتكبرون العتاة العصاة الذين لم يكونوا يدعون في الدنيا لأيّة حقيقة؟! إلا أن الله الآن يتغيّرون تماماً عند رؤية مشاهد القيامة ويصلون إلى مستوى الشهود، لكنّ هذا الوعي وتغيير الموقف سريع الزوال، فإنّهم – وطبقاً لآيات القرآن الأخرى – لو رجعوا إلى هذه الدنيا لعادوا إلى حالتهم الأولى، الأنعام / الآية 28. "الناكس" من مادّة (نكس) على وزن (كلب) بمعنى إنقلاب الشيء، وهنا يعني خفض الرأس إلى الأسفل وطأطأته. تقديم "أبصرنا" على "سمعنا" لأنّ الإنسان يرى المشاهد والمواقف أولاً، ثمّ يسمع إستجواب الأ والملائكة. _____ 1 – الزمر، 42. 2 – النحل، 28. 3 – (لو) في الآية الشريفة شرطية، شرطها جملة (وترى...) وجزاؤها محذوف، والتقدير: "ولو ترى إذ المجرمون... لرأيت عجباً". وفي جملة (ربّنا أبصرنا) حذف تقديره: يقولون ربّنا أبصرنا.